

الآثار النفسية والاجتماعية للمهجرين قسراً من حرب الخرطوم أبريل 2023م (دراسة حالة محلية شندي)

كلية التربية جامعة شندي

د. الطيب حمد الزين عبدالله عثمان

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة للتعرف على جريمة التهجير القسري التي تعرض لها سكان ولاية الخرطوم، نتيجة للحرب التي اندلعت في الخرطوم ، وكذلك التعرف على آثارها النفسية والاجتماعية، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، مجتمع الدراسة: يشمل جميع المهجرين قسراً عن ولاية الخرطوم والمقيمين بمحلية شندي ووحداتها الريفية، لا تتوافر إحصائية دقيقة بعددهم نتيجة عدم الاستقرار، واستمرار تدفق المهجرين قسراً. شملت عينة الدراسة 104 نازح من المهجرين قسراً عن الولاية، أخذت بالطريقة العشوائية البسيطة، الأدوات التي استخدمت: المقابلة التي أعدها الباحث للتعرف على الآثار النفسية والاجتماعية للتهجير القسري، واعتماد التقارير الموثقة للمنظمات الأممية للوقوف على حجم وأنواع الانتهاكات التي ارتكبت أثناء الحرب في الفترة من (15 أبريل 2023 - 6 سبتمبر 2023م) ، تم تحليل البيانات وصفيًا باستخدام المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري. توصلت إلى عدد من النتائج منها أن الحرب في الخرطوم أسهمت في تهجيرهم قسراً كنازحين داخل السودان وخارجه، كما توصلت إلى أن الهجرة القسرية خلفت آثاراً نفسية تمثلت في: القلق، الإحباط، المخاوف، الاكتئاب، صعوبة النوم، ضعف خدمات الصحة النفسية. وأثاراً اجتماعية تمثلت في: تفكك النسيج الاجتماعي، التفكك الأسري، ضعف الخدمات الاجتماعية، عدم وجود فرص بديلة للعيش، تصدع العلاقات الاجتماعية، ضعف المساندة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التهجير، القسري، النازحين، اللاجئين.

The psychological and social effects of forced displacement of Khartoum war (April 2023) (Case study of Shendi locality)

Dr. Eltayeb Hamad Elzain Abdalla Osman. Faculty of Education, Shendi University.

Abstract:

This study aimed at investigating the crime of forced displacement of Khartoum State population, as a result of Khartoum war, and to reveal its psychological and social effects. The researcher used the analytical descriptive method. Participants consisted of (104) emigrants from Khartoum State, chosen by the simple random method. The tools that were used are: Interview prepared by the researcher to meas-

ure the psychological and social effects of forced displacement, and the documented reports of International Organizations to show the size and the types of violation during the war in the period from (15 April – 6 September 2023). The data was analyzed descriptively using the means and standard deviations. The study has come to the following results: war in Khartoum resulted in forced displacement in both inside Sudan and abroad. Also the study revealed that the forced displacement has left many psychological effects such as: anxiety, frustration, phobia, depression, sleeping difficulties, and shortage of mental health services. Also many social effects such as: weakening social and family ties, limited social services, unemployment, crack of social relationships, and shortage of social support.

Key words: displacement, Forced, emigrants.

مقدمة:

يعد التهجير القسري من أشد الجرائم التي عانت منها البشرية في الماضي والحاضر ومن أكثر الجرائم إيلاًماً للنفس الإنسانية لما تتضمنه من اقتلاع الإنسان من جذوره وماضيه وحاضره الذي يعيشه، ولقد كان التهديد بالتهجير القسري أحد معالم نذر المستكبرين لارتكاب الجريمة، فلقد أورد القرآن الكريم على لسان مشركي مدين إلى نبيهم شعيب عليه السلام: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) (الأعراف: 88). أي أنهم توعده ومن معه بالنفي من القرية أو الإكراه للرجوع. وغالباً ما ترتكب هذه الجريمة أثناء الحروب، أو نتيجة لمحاولة المحتل تغيير الطابع الديموغرافي أو التاريخي لمنطقة معينة يقوم باحتلالها، أو نتيجة من النزاعات المسلحة، كما يمكن أن تكون هذه الجريمة بسبب أو نتيجة لحرب أهلية داخلية تسعى فيها السلطة الحاكمة لمواجهة تمرد أو عصيان داخلي فتقوم بمحو الطابع التاريخي لسكان منطقة معينة والقضاء على الروابط القومية أو العرقية أو الاثنية أو الدينية القائمة بينهم خلال تشتيتهم وهدم منازلهم وبث الذعر فيما بينهم لإجبارهم على الرحيل من خلال المجازر الدموية التي ترتكبها والتنكيل بالسكان وتعريض حياتهم للخطر. وجريمة التهجير القسري ليست من الجرائم الحديثة أو الطارئة على الحياة البشرية، بل هي قديمة قدم الإنسان نفسه وستبقى مستمرة ما دام هناك صراع بين البشر على السلطة والموارد والثروة، لكنها كانت قديماً بدون عقاب، وكان المهزوم يخضع لإرادة المنتصر في كل شيء، غير أن تطور المجتمع الدولي في سعيه للحد من الآثار الناشئة عن الحروب وتخفيف الآلام عن البشرية، وتسليط الضوء على آثارها المتمثلة في النزوح الداخلي وطلب اللجوء، دفعته إلى تجريم التهجير القسري وصولاً إلى تشريع قانوني جنائي دولي يعاقب هذه الجريمة⁽¹⁾. والنزوح القسري أخذ في الارتفاع على مستوى العالم، ففي عام 2020م، تسببت النزاعات المسلحة والكوارث في 40.5 مليون حالة نزوح داخلي جديدة في 149 بلداً، ونزح 9.8 مليون شخص داخلياً بسبب النزاع والعنف. وتشير التقديرات إلى أن 26.3 مليون شخص هم من اللاجئين⁽²⁾.

إن حالات النزاعات المسلحة الداخلية التي تتسم بتواجد المقاتلين وسط السكان، هي الأكثر شيوعاً في الوقت الراهن، وتؤدي إلى سرعة انهيار الهياكل الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والتي من شأنها زيادة معدلات الهجرة القسرية، غير أن خطورة التهجير القسري تكمن في اتصافه بالجماعي في أغلب حالاته وأشكاله، مما يشكل تغيير واضح في التركيبة السكانية الناتجة بسبب الاختلاط والعمل مبدأ التأثير على المستويات كافة. وتحمل مغادرة الوطن والسكن في مجتمع جديد في طياتها معاناة متعددة الأبعاد تتمثل في ضغوطات نفسية واجتماعية وثقافية واقتصادية خاصة لذوي الاستعداد المسبق، تتطلب درجة مرتفعة من المرونة النفسية والصمود النفسي لمواجهة التحديات الجديدة،

مشكلة الدراسة:

لقد فجع الشعب السوداني وخاصة المقيمين بولاية الخرطوم منتصف أبريل 2023م باشتباكات ومواجهات عسكرية مسلحة بين الجيش وقوات الدعم السريع، وتعرض المواطنون المدنيين العزل بولاية الخرطوم للهجوم في منازلهم، عنوة باستخدام السلاح والضرب والقتل والتعذيب والخطف والاعتصام ونهب الأموال والممتلكات، الأمر الذي أدى لتهجيرهم قسرياً خارج الولاية بحثاً عن ملاذ آمن، غير مناطق النزوح تشكو هي نفسها من ضعف الخدمات الضرورية كالكهرباء والماء المستوصفات الصحية، وهذا ما أدى إلى تفاقم المشكلات الصحية والنفسية والاجتماعية، تسببت في إحداث تأثيرات كبيرة على المدنيين النازحين ولا سيما على الأسرة حيث القتل والتشريد والتهجير والتفكك والعنف والانتهاكات الجنسية التي كانت لها انعكاسات وتأثيرات قاسية عليهم، ونظراً لخطورة هذه المشكلة تداعياتها النفسية والاجتماعية، لما يلحق بالعوائل المهجرة قسرياً، حاولت هذه الدراسة أن تضع صورة للمسؤولين ومنظمات المجتمع المدني ليتسنى لهم الوقوف على هذه الظاهرة والآثار المترتبة عليها، وعليه فإن مشكلة الدراسة تتلخص في السؤال الرئيس التالي: ما حجم وأنواع الانتهاكات التي مورست ضد المدنيين وأدت إلى التهجير القسري بمجتمع الدراسة؟ وعنه تنبثق الأسئلة الفرعية التالية:

أ/ ما هي أهم الآثار النفسية التي يتعرض لها المهجرين قسرياً عن ولاية الخرطوم؟

ب/ ما هي أهم الآثار الاجتماعية التي يتعرض لها المهجرين قسرياً عن ولاية الخرطوم؟

أهداف الدراسة:

التعرف حجم وأنواع الانتهاكات التي تعرض لها سكان ولاية الخرطوم وأدت إلى تهجيرهم قسرياً.

الكشف عن أهم الآثار النفسية التي لحقت بالمهجرين قسرياً عن ولاية الخرطوم.

الكشف عن أهم الآثار الاجتماعية التي لحقت بالمهجرين قسرياً عن ولاية الخرطوم.

أهمية الدراسة:

تعد دراسة ظاهرة التهجير القسري ذات أهمية كبيرة، ذلك لأنها خارجة على أعراف المجتمع السوداني المتسامح مع كل الشعوب ناهيك مع أفرادها، وأنها طالت شريحة كبيرة من أفراد المجتمع السوداني، واضطر 5.1 مليون فرد مدني بولاية الخرطوم لا علاقة له بالصراع حسب التقارير المبلغ عنها بواسطة المنظمة الدولية لحقوق الإنسان إلى التهجير القسري داخل أو خارج السودان حتى مطلع سبتمبر 2023م. كما تأتي أهميتها من عظم الانتهاكات التي تعرض لها سكان ولاية الخرطوم وكانت ذات دوافع متعددة كما وثقت له منظمات حقوق الإنسان. وتأتي أهميتها من خلال استمرار تدفق ومعاناة المهجرين قسراً للنزوح الداخلي

للولايات القريبة أو البعيدة من الخرطوم، أو اللجوء خارج الوطن لدول الجوار منذ نشوب الحرب حتى الآن وهي تدخل في شهرها السادس، من الآثار الخطيرة التي تخلفها على بنية المجتمعات وتركيبها السكانية وآثارها الاقتصادية والنفسية والاجتماعية والصحية، وتأتي الأهمية من أن معظم الدراسات السابقة ركزت على الهجرات الداخلية والخارجية للمناطق الجاذبة وهجرة العقول والكفاءات خارج الوطن.

أسئلة الدراسة:

ما حجم وأنواع الانتهاكات التي مورست ضد سكان ولاية الخرطوم وأدت إلى تهجيرهم قسرياً؟
ما هي أهم الآثار النفسية التي يتعرض لها المهجرين قسراً عن ولاية الخرطوم بسبب الحرب؟
ما هي أهم الآثار الاجتماعية التي يتعرض لها المهجرين قسراً عن ولاية الخرطوم بسبب الحرب؟

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: أهم الآثار النفسية والاجتماعية للتهجير القسري حرب الخرطوم نموذجاً.
الحدود البشرية: المهجرين قسراً عن ولاية الخرطوم.
الحدود الزمانية: من 15 أبريل - 6 سبتمبر 2023م
الحدود المكانية: ولاية الخرطوم.

المفاهيم والمصطلحات:

الآثار النفسية:

تعرفها سناء محمد جعفر بأنها: «النتائج التي تتمخض عن الظواهر الاجتماعية التي يعيشها الانسان والتي تؤثر في حالته النفسية وتؤثر في شخصيته تأثيراً واضحاً من شأنها أن تقود الفرد إما للتصدع أو التفكيت والتداعي نتيجة الظاهرة التي يتعرض لها»⁽³⁾.
وإجرائياً يعرفها الباحث بأنها الدرجة التي يتحصل عليها أفراد العينة من خلال استجاباتهم على أسئلة أبعاد الآثار النفسية التي طرحت في المقابلة.

الآثار الاجتماعية:

يعرفها Munn, N, L ، على أنها: «النتائج التي يلتمسها الإنسان نتيجة وجود حوادث ووقائع تؤثر في المجتمع والحياة الاجتماعية وهذه الآثار يمكن الاحساس بها ومشاهدتها وتسجيلها»⁽⁴⁾.
وإجرائياً يعرفها الباحث بأنها الدرجة التي يتحصل عليها أفراد العينة من خلال استجاباتهم على أسئلة بعد الآثار الاجتماعية التي طرحت في المقابلة.

التهجير القسري:

التهجير لغة:

من (الهَجْر) الترك، وبابه نصر، و (الهجرة) (المهاجرة) من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية، (5). وقوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقَرْعَانَ مَهْجُورًا)، (سورة الفرقان: 30)، أي متروكاً، (تفسير القرطبي). وردت كلمة تهجير في قاموس أكسفورد بصيغة Deport، أبعد، Deportation تهجير، Deportee مُبْعَد، ويعتقد أن كلمة التهجير وردت بصيغة إجلاء في (الأكدية GLLATU) في النصوص والتي تعني نقل السكان من منطقة إلى أخرى والتي غالباً ما تتسم بالعنف والقوة،⁽⁶⁾

والتهجير اصطلاحاً:

هو « النزوح الإجباري للسكان بصورة فردية أو جماعية لأسباب طبيعية أو اقتصادية أو سياسية قاهرة، يترتب عليها تغيير محل الإقامة بصورة مؤقتة أو دائمة، (7) ». أي أنه انتقال قسري بسبب صراعات داخلية تدفع الأفراد والأسر لمغادرة أماكن إقامتهم الأصلية، والتوجه إلى أماكن توفر لهم قدراً أكبر من الأمن وشروط الاستقرار».

التهجير بالمعنى السياسي: هو « سياسة إكراه وتشريد وإرغام على مغادرة مسكن أو بلد من جراء حرب أو نزاع مسلح أو فتنة سياسية » مخططات تهجيرية وتطهير عرقي».

ومفهوم التهجير Displacement :

هو « الانتقال من منطقة إلى أخرى دون رغبة أو اختيار من المهاجرين، حيث تجبر السلطات بعض الأفراد على النزوح أو طرد فرد أو جماعات دون تحديد مكان محدد يذهبون إليه كالهجرات التي تمت إبان حكم هتلر والحركة النازية»⁽⁸⁾، كما يعرف التهجير بأنه: « انتقال السكان تحت ضغط من الدولة أو الولاية أو قوة عسكرية، ولا يستطيع المهاجر اتخاذ قرار الهجرة كما لا يستطيع تحديد موطن الإقامة الجديد»⁽⁹⁾.

والتهجير القسري اصطلاحاً:

هناك بعض المصطلحات تعبر عن مفهوم واحد إذ أن مصطلح التهجير القسري Forcibly dis-place يرادف الترحيل أو التنقل القسري Deport or forcibly transferred⁽¹⁰⁾، وعند الرجوع إلى معاجم اللغة وجدنا أن التهجير القسري له المعني الواسع يستوعب جميع المصطلحات التي تم ذكرها، إذ اجتمعت فيه دلالتا الزمان والمكان، ويعرف بعض الفقهاء التهجير القسري بأنه: « نقل السكان المدنيين من وإلى أماكن غير أماكنهم الأصلية» أو هو « إبعاد المدنيين من منطقة محتلة إلى منطقة أخرى، ويعتبر الإبعاد داخلياً إذا نقل الأشخاص المرحلين إلى موقع آخر من البلد نفسه»⁽¹¹⁾.

منهجية الدراسة:

المنهج: استخدم الباحث المنهج الصفي التحليلي وذلك لمناسبته لمثل هذه الدراسات. العينة: شملت (104) نازحاً، تراوحت أعمارهم بين 20 - 55 سنة، قدموا من مناطق الخرطوم الثلاث أم درمان، بحري والخرطوم. واستقروا في محلية شندي، وقد عانى الباحث في الوصول لعينات من النساء بسبب الروع وعدم الأمان الذي تركته في نفوسهن وصعوبة التعاطي مع بعض الأسئلة. أدوات الدراسة: للوصول إلى نتائج الدراسة تم استخدام المقابلة المغلقة في بعض الأسئلة، والمفتوحة في بعضها الآخر التي أعدها الباحث، اشتملت على 12 فقرة موزعة على بعدين، الأول: الآثار النفسية والتي حوت 6 فقرات، والآثار الاجتماعية حوت 6 فقرات كما تم الحصول على بعض النتائج خاصة بعد الانتهاكات في الاعتماد على ما وثقته المنظمات الأممية في تقاريرها المعتمدة والتي نشرت على الانترنت نتيجة متابعتها ومراقبتها للأوضاع عن كثب، وما تناقلته وسائل الاعلام المحلية والعالمية والميديا.

المبحث الأول:

التهجير القسري المفاهيم.. والانتهاكات .. والنتائج المترتبة عليه:
في حين يرى آخرون أن مفهوم التهجير القسري وتحديد معناه يختلف في حالة النزاعات المسلحة

الدولية عن حالة النزاعات المسلحة الداخلية، ففي الحالة الأولى يعرف بأنه: « عمليات النقل القسرية الفردية أو الجماعية وترحيل الأشخاص المقيمين في المناطق المحتلة إلى أراضي سلطة الاحتلال أو الأراضي التابعة لأي دولة أخرى سواء كانت محتلة أم لا بصرف النظر عن الوقائع،⁽¹²⁾ أما في الحالة الثانية فهو عبارة عن: « اجبار مجموعة من السكان تقيم بصورة قانونية على أرضها وفي ديارها، على الانتقال إلى منطقة أخرى ضمن الدولة نفسها أو خارجها بناءً على منهجية أو تخطيط أو إشراف الدولة أو الجماعات التابعة لها أو جماعات أخرى في مسعى للتطهير يقوم على أساس التمييز العرقي أو الاثني أو القومي أو الديني أو حتى التوجه السياسي في تلك المنطقة التي يتم إبعاد السكان منها،⁽¹³⁾ وتنطوي معظم عمليات التهجير القسري غالباً على جلب مستوطنين يحلون محل السكان الأصليين الذين تم تهجيرهم ويقطنون في نفس مساكنهم، وقد يكون المستوطنون الجدد من نفس البلد أو خارجها، إلا أنهم يختلفون عنهم في العرق أو الطائفة أو غيرها من الأسباب التي دعت إلى تهجيرهم وبالتالي الاستيلاء على مساكنهم وإشغالها بدون عقد أو إذن مسبق،⁽¹⁴⁾»

التهجير القسري في القانون الدولي هو «ممارسة تنفذها حكومات أو قوي شبه عسكرية، أو مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية، بهدف إخلاء أراضي وإحلال مجاميع سكانية بدلاً عنها». ولقد عرفت الفقرة (17) من التقرير التحليلي للأمين العام للأمم المتحدة عام 1992م المشردين قسراً داخل دولهم بأنهم: « الأشخاص الذين أجبروا على الفرار بأعداد كبيرة من مساكنهم على نحو مفاجئ وغير متوقع نتيجة لنزاع مسلح، أو اضطرابات داخلية، أو انتهاكات مستمرة لحقوق الإنسان، أو كوارث طبيعية أو من صنع الإنسان وما زالوا بدولهم»،⁽¹⁵⁾

يخلص الباحث مما تقدم أن التهجير القسري هو إجبار الشخص أو الأشخاص على ترك منازلهم وتغيير إقامتهم، والنزوح داخل أو خارج الدولة بحثاً عن الملاذ الآمن الذي فقده في منزله.

النتائج المترتبة على التهجير القسري:

لعله بات جلياً أن من أهم ما يتمخض من التهجير القسري هو نزوح المهجرين عن موطنهم الأصلي، أو تحولهم إلى نازحين أو لاجئين وفيما يلي توضيح الفرق بينهما:

أولاً: التهجير القسري والنزوح (التشريد الداخلي):

وفقاً للمبادئ التوجيهية الصادرة عن الأمم المتحدة يعرف الأشخاص النازحون بأنهم: « الأشخاص الذين أكرهوا على الحرب أو ترك منازلهم أو أماكن إقامتهم المعتادة، أو اضطروا إلى ذلك، سعيًا لتفادي آثار نزاع مسلح أو حالات عنف عام، أو انتهاكات حقوق الإنسان، أو كوارث طبيعية أو من فعل البشر ولم يعبروا الحدود الدولية المعترف بها للدولة، (16). ويطلق البعض على هؤلاء الأشخاص مصطلح النازحون داخلياً، أو المهجرون داخل أوطانهم، ويحتفظ النازحون بوصفهم مواطنين بحقوقهم كافة بما في ذلك حق الحماية وفقاً لقوانين حقوق الإنسان، أو القانون الدولي الإنساني، (تقرير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2014).

ثانياً التهجير القسري واللجوء:

يعتبر اللجوء نتيجة من نتائج التهجير القسري ويترتب عليها، ويختلف اللجوء عن النزوح في أن الأشخاص المدنيين يصبحون لاجئين معترف بهم دولياً عندما يعبرون حدود دولية سعيًا للحصول على ملاذ في

بلد آخر بينما يظل الأشخاص النازحون داخلياً لأي سبب من الأسباب في بلدانهم نفسها، وبذلك يعد الوضع القانوني للاجئين أفضل من وضع النازحين داخلياً حيث هناك قوانين واتفاقيات دولية تعالج وضعهم القانوني، أما النازحون داخلياً فإنهم يعدونهم في كثير من الأحيان أعداء للدولة،⁽¹⁷⁾.

الانتهاكات التي دفعت المدنيين بولاية الخرطوم إلى الهجرة قسراً:

ترجع جذور أزمة التهجير القسري لسكان ولاية الخرطوم إلى الحرب التي اندلعت بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع في يوم 15 أبريل 2023م، ونتج عن استمرارها الكثير من الانتهاكات والتي يمكن تلخيص أهم ملامحها على النحو التالي:

توثق منظمة العفو الدولية⁽¹⁹⁾ للانتهاكات التي دفعت سكان ولاية الخرطوم، بدأ قتل المدنيين في حي الكلاكلة جنوب الخرطوم في 20 أبريل 2023م، عندما أبلغ المعلم كودي عباس 55 سنة منظمة العفو الدولية عن مقتل اثنين من أبنائه وابن اخته أثناء محاولتهم الفرار من إطلاق النار. وقتلت الطيبة آلاء فوزي المرضي في حي المنارة بأمر درمان في اليوم الأول للحرب. وفي 13 مايو 2023م انتهك بعض عناصر الدعم السريع مجمع كنيسة ماري جرجس القبطية في مدينة الخرطوم بحري، وقال شهود عيان أنهم أطلقوا النار على خمسة من رجال الدين المسيحي وسرقوا أموالاً وصليباً ذهبياً.

يوثق التقرير إلى جرائم واسعة النطاق في السودان من قبل قوات الدعم السريع، والخسائر الجماعية في صفوف المدنيين، واحتلال المستشفيات وانتشار أعمال النهب على نطاق واسع، وترقى بعض الانتهاكات الموثقة (مثل الهجمات على البنية التحتية الإنسانية، والاغتصاب وغيرها من أشكال العنف الجنسي والتهجير) إلى جرائم حرب.

قتل الناس في منازلهم، أو أثناء بحثهم عن الطعام والماء والدواء، وتعتمد إطلاق النار عليهم أثناء فرارهم في هجمات مستهدفة، وتعرض عشرات النساء والفتيات بعضهن لا يتجاوز أعمارهن 12 عاماً للاغتصاب وأشكال أخرى من العنف الجنسي على أيدي أفراد يتبعون للدعم السريع⁽²⁰⁾.

وورد في تقرير مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان⁽²¹⁾، بتاريخ 17 أغسطس 2023م:

أعرب خبراء الأمم المتحدة عن تقارير تكشف عن الاستخدام الوحشي والواسع النطاق للاغتصاب وغيره من أشكال العنف الجنسي من قبل قوات الدعم السريع منذ أربعة أشهر، قتل خلاله الآلاف من المدنيين وشرد الملايين قسراً من ديارهم وأن ما يقرب من 700 ألف لاجئ وطالب لجوء أجبروا على الفرار إلى الدول المجاورة.

استخدام الميليشيا الاغتصاب والعنف الجنسي ضد النساء والفتيات كأدوات لمعاينة وترهيب المجتمعات لدوافع عرقية وعنصرية.

إعاقة دعم ضحايا العنف والعناية بهم بسبب القتال، واستهداف المدافعات المحليات عن حقوق الإنسان واستهدافهن بشكل مباشر. كما وثقت وحدة مكافحة العنف ضد المرأة التابعة لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية⁽²²⁾:

وصلت عدد الاعتداءات الجنسية والمبلغ عنها حتى 8 أغسطس 2023م بلغ 128 حالة من الشابات والمراهقات من سن 12 - 29 سنة بحسب ما وثقته وحدة مكافحة العنف ضد المرأة. وأجمعت الناجيات أن الجناة في جميع هذه الحالات كانوا عناصر من الدعم السريع.

أكثر المناطق التي سجلت فيها انتهاكات هي مدينة الخرطوم بحري التي تقع تحت سيطرة الدعم السريع، وأن العدد الفعلي لحالات الاغتصابات أعلى من ذلك والحالات المخفية أكبر، وغالباً ما تنتمي ضحايا الاغتصاب إلى أسر فقيرة ورقيقة الحال اتخذت من عمارات قيد الإنشاء مساكن تأوي إليها في ظل الظروف الحالية، كما أنهم ينحدرون من أعراق غير عربية، وغالباً ما يحدث بمقصد التحقير والإذلال، ووثقت حالات الاغتصاب الجماعي والإهانات العرقية.

الاحتجاز القسري لمواطنين أبرياء بالخرطوم حيث قدرت وكالة رويتر عدددهم بأكثر من خمسة آلاف محتجز، غير أن العدد الحقيقي أكثر من ذلك بكثير، من بينهم نساء وأطفال وشيوخ ومدنيون لا علاقة لهم بالقوات النظامية، وتطردت الوكالة إلى الظروف القاسية التي يحتجزون فيها داخل سجون سرية لا يعلم مكانها أحد، وفيها بحسب ناجين منها تمارس أبشع جرائم التعذيب، مما أدى إلى وفاة الكثيرين من ضحاياها تبعاً لغياب العناية الصحية وانعدام الدواء، ورداءة الطعام الذي يقدم فيها للمختطفين. (23).

جرائم الاغتصاب المروعة التي وثقتها العديد من الجهات المتصلة بحقوق المرأة على لسان رئيستها سليمة اسحق، أن المئات من جرائم الاغتصاب التي ارتكبتها جنود الدعم السريع في الخرطوم ومناطق أخرى. وتطردت إلى تلك الجرائم جماعات دولية وإقليمية ووطنية عديدة، ومنها المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، ومدعي محكمة الجنايات الدولية، والخارجية الأمريكية، ووسائل إعلام عالمية مثل (BBC) البريطانية، ولوموند الفرنسية، وواشنطن بوست الأمريكية وغيرها.

جرائم دور العبادة: ارتكبت هذه الميليشيا جرائم مروعة بحق دور العبادة باحتلالها للمساجد والكنائس، وإطلاق النار على أئمة المساجد، والقساوسة والراهبات في عدد من كنائس ولاية الخرطوم بعد نهبها وسرقة محتوياتها.

الاتاوات التي فرضتها قوات الدعم السريع في الطرقات الداخلية والقومية للسيارات العابرة والمواطنين أثناء ترحالهم، واهانتهم وسلبهم لممتلكاتهم، وإطلاق النار عليهم تلذذاً بمعاناتهم، واعتقال الكثيرين منهم بلا أي مسوغ قانوني.

سرقة أكثر من 16 ألف عربة من المواطنين والمؤسسات والشركات ذهب أغلبها خارج السودان، وتم فتح بلاغ للإنتربول مدعمة بالوثائق الثبوتية كما ورد في المؤتمر الصحفي لوزير الداخلية في سبتمبر 2023م. وما أدلى به مستشار قائد الجيش بتصريحات لقناة الجزيرة بتاريخ 7 سبتمبر 2023م، أن عدد الأسرى والمختطفين من المدنيين لدى الدعم السريع بلغ أكثر من خمسة آلاف، وبلغ حجم الأموال المنهوبة أكثر من 60 مليون دولار.

أما ما أدلى به الناجين من جحيم المعتدين على الحق الخاص فقد قام الباحث إجراء المقابلة لأفراد العينة من النازحين في محلية شندي والتي تعد من أقرب المحليات للخرطوم أجمعوا على أن أهم الانتهاكات تمثلت في (اقتحام المنازل والمتاجر عنوة تحت التهديد باستخدام السلاح والقتل في حالة إبداء أي نوع من المقاومة، الإساءة بالفاظ نابذة وعنصرية، الضرب والركل والصفع على الوجه والرأس لرب الأسرة أمام أبنائه، التعذيب بأشكال يندى لها الجبين، العنف الجنسي والاغتصاب المستهدف عنصرياً، والخطف للشباب والشابات، نهب الأموال والممتلكات، وسرقة السبائك الذهبية، الطرد من المنازل في ظروف انسانية قاسية،

تخريب ودمار الأثاثات، وحرق واتلاف المستندات، فضلاً عن تدمير مؤسسات القطاع العام والخاص دون تمييز، وتركها مفتحة الأبواب للسجناء الذين أخلتهم المليشيا من السجون)، وقد استعانت عناصر المليشيا بذوي النفوس المريضة من المواطنين لإرشادهم على منازل ضباط الجيش المتقاعدين، والسياسيين وبعض الناشطين لتقوم باعتقالهم وأسرههم وتصفيتهم. وبحسب تقرير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية بالسودان (24): أن 5.1 مليون شخص نزحوا داخلياً وخارجياً، وفي آخر تحديث لحركة النزوح هذا الشهر (سبتمبر 2023م) بينهم 4.1 مليون شخص نازح داخلي داخل البلد، منهم 69% من ولاية الخرطوم، ونقل المكتب الأممي إحصائيات عن منظمة الهجرة الدولية حسب ما ورد إلى (أترا سودان) أن تهجير السودانيين تم إلى 3.733 موقعاً بين ثمانى ولايات، بينما عبر أكثر من مليون شخص الحدود الدولية إلى دول الجوار.

المشاكل والضغوطات التي يواجهها النازحون واللاجئون:

يواجه النازحون واللاجئون مشاكل وضغوطات مختلفة تحل بهم في مراحل مختلفة من عملية الهجرة على النحو التالي (25):

المرحلة السابقة للهجرة: الافتقار إلى سبل العيش وفرص التعليم والتنمية، والتعرض للنزاعات المسلحة والعنف أو الفقر أو الاضطهاد.

سفر الهجرة والعبور: التعرض لظروف صعبة ومهددة للحياة بما فيها العنف والاحتجاز وعدم اتاحة الخدمات اللازمة لتلبية احتياجاتهم الأساسية.

المرحلة اللاحقة للهجرة: العقبات التي تحول دون اتاحة الخدمات الرعاية الصحية وغيرها، فضلاً عن رداءة الظروف المعيشية والانفصال عن أفراد الأسرة، وانعدام الدعم المحتمل بشأن الحصول على تصاريح العمل والوضع القانوني (طلب اللجوء) واحتجاز المهاجرين في بعض الحالات.

الاندماج والتوطين: رداءة ظروف المعيشة أو ظرف العمل والبطالة وصعوبة الاندماج والتحديات المتعلقة بالهويات الثقافية والدينية والجنسية، والإقصاء والتوتر بين السكان المضيفين والمهاجرين واللاجئين والعزلة الاجتماعية والترحيل المحتمل.

عوامل خطر الإصابات بالاضطرابات النفسية والحماية منها: يمكن أن تؤدي جميع الضغوطات المذكورة أعلاه إلى زيادة خطورة الإصابة باضطرابات نفسية، فالبطالة ورداءة الظروف الاجتماعية والاقتصادية وانعدام الاندماج الاجتماعي، هي من خطر الإصابة باضطرابات نفسية مثل الاكتئاب، وتفاقم مشكلات الصحة النفسية والاجتماعية القائمة.

ارتفاع معدلات انتشار الاضطرابات النفسية: يعاني العديد من المهاجرين واللاجئين من الضيق (كالقلق، الحزن، اليأس، صعوبة النوم، الارهاق، التهيج والغضب، والأوجاع والآلام، وتحسن ردود الفعل هذه بمرور الوقت بالنسبة لمعظم الناس.

بينما يعيش أغلب النازحين واللاجئين في المجتمعات المضيفة، إلا أن هناك أكثر من 280 ألفاً منهم يعيشون في ملاجئ بما فيها الخيام والأبنية العامة والملاجئ البدائية خاصة في النيل الأبيض، حسب ما ورد في تقرير المنظمة الدولية للهجرة يوليو 2023م، وأظهرت الأرقام التي سجلتها مصفوفة تتبع حركة النزوح أن 40 % من إجمالي الفارين (لاجئين) لجأوا إلى مصر، و 28 % إلى تشاد، و 21 % إلى دولة جنوب السودان أما

البقية لجأوا إلى أثيوبيا وأفريقيا الوسطى. وأشارت إلى 65% من اللاجئين الذين عبروا الحدود في الأشهر الثلاثة الماضية سودانيون، بينما شكل اللاجئون العائدون إلى بلدانهم أو من جنسيات أخرى 35% من اللاجئين الذين يعيشون ظروفاً صعبة (26).

نتيجة السؤال الأول:

للإجابة على السؤال الأول والذي ينص على : ما حجم الانتهاكات التي حدثت وأدت إلى التهجير القسري لمواطني ولاية الخرطوم؟

قام الباحث بعرض تحليلي منطقي أولاً: لكل ما وثقته المنظمات الأممية بالسودان من خلال تقاريرها الرسمية والتي نشرتها على مواقعها تقف شاهداً على حجم الجرائم. ثانياً: ليس هذا فحسب بل لما أجراه الباحث لمقابلة عينة من المهجرين محلية شدي أكدوا من خلالها على ما ذهبت إليه المنظمات وأضافوا تفاصيل عميقة عن حجم الجرم، بل أخفوا بعضه لأسباب خاصة بهم، ثالثاً: وكذا الحال من متابعة الباحث لهذا الملف في القنوات الفضائية والميديا والصحف المحلية والعالمية.

توصل الباحث مما سبق ذكره من انتهاكات إلى نتيجة هامة أن حجم التهجير القسري لسكان ولاية الخرطوم حتى 6 سبتمبر 2023م بلغ 5.1 مليون حالة، منهم 4.1 مليون حالة نزوح داخل السودان في ولايات (نهر النيل، الشمالية، الجزيرة، النيل الأبيض، سنار، شرق دارفور جنوب دارفور، جنوب كردفان)، وأكثر من مليون لاجئ في دول الجوار (مصر، تشاد، دولة جنوب السودان، أثيوبيا، أفريقيا الوسطى)، وأن المليشيا استخدمت مختلف أشكال وأنواع الانتهاكات البشعة ضد المدنيين المقيمين بولاية الخرطوم، تمثلت في: قتل المدنيين أمام أسرهم دون ذنب بعد إذلالهم وإهانتهم عرقياً، وارتكاب أبشع جرائم التعذيب حتى الوفاة لكبار السن ناهيك عن الشباب، ارتكاب كل أشكال العنف الجنسي واغتصاب الحرائر ونشرها على الانترنت، خطف الشباب وتجنيدهم إجبارياً أو تعذيبهم، نهب الأموال والممتلكات العامة والخاصة وحرق المتاجر والأسواق، احتلال المستشفيات وقتل الأطباء والعلماء ومنع الكوادر الطبية لتقديم الخدمة وطرد المرضى، احتلال دور العبادة من مساجد وكنائس واطلاق النار على رجال الدين، الاحتجاز القسري لأكثر من 5 ألف من المواطنين الأبرياء بالخرطوم في ظروف إنسانية كارثية، اعتقال المدنيين والمتقاعدين من العسكريين من داخل منازلهم، سرقه أكثر من 16 ألف عربة ونهب أكثر من 60 مليون دولار.

تسببت في تهجيرهم قسراً من موطنهم الأصلي إلى مناطق مجهولة حفاظاً على أرواحهم وحماية لأسرهم مما رأوه من هول المشاهد والشواهد التي تكاد تذهب بالقول، مخلفين وراءهم المنازل والممتلكات ليطالها التخريب والدمار، نزحوا بأعداد مهولة في ظروف بالغة التعقيد وأحوال سيئة للغاية خارج العاصمة إلى الولايات القريبة، أو لجأوا خارج السودان لمن استطاع سبيلاً.

المبحث الثاني:

الأثار النفسية للتهجير القسري:

توطئة:

مما لا يدعو مجالاً للشك أن من أهم آثار الحرب السلبية استمرار وارتفاع معاناة المهجرين قسرياً من مشاكل نفسية وعصبية، جعلتهم عرضة لضغوط نفسية ومعاناة مستمرة من حالات القلق والخوف،

يضطر الآلاف منهم إلى علاجات نفسية جراء ما لحق بهم من استهداف ممنهج ومخطط له من قبل ويتمثل في طرد المواطنين والاستيلاء على منازلهم ومن ثم تغيير التركيبة الديموغرافية. ولقد أوردت كثير من الأبحاث والدراسات في هذا الشأن صوراً لعدد من الحالات النفسية التي يتعرض لها النازحون واللاجئون ومن أهمها: يذكر الدكتور فيلكرام باتل: «أن من أهم الأمراض التي يتعرض إليها اللاجئون: الحزن والحداد فخرسة الممتلكات هي مفاجئة رهيبية للأشخاص لا سيما الفقراء منهم، فضلاً عن خسارة الأهل والأقارب والأصدقاء. وكذلك التعرض للعنف المرعب وهناك أعداداً كبيرة منهم تعرضت وشهدت أحداثاً مروعة. أما أكثر الأمراض النفسية شيوعاً بين المهجرين الاكتئاب والضغط الناتج عن الصدمة، وقد يشكو الشخص عادة من صعوبة النوم والكوابيس والشعور بالخوف والتعب وفقدان النشاط اليومية، والشعور بالرغبة في الانتحار والتصرف بطريقة غريبة»،⁽²⁷⁾. وتُظهر بعض الدراسات أن معدل انتشار الاضطرابات النفسية بين المهجرين تشمل (الاكتئاب، القلق، اضطراب الكرب الناتج عن الرضخ) هي أعلى بين المهجرين واللاجئين منه بين السكان المضيفين، وهناك بيانات ثابتة على ارتفاع الإصابة بالذهان بين السكان المهجرين في عدد من البلدان بسبب الأثر التراكمي لجوانب الحرمان الاجتماعي قبل وأثناء وبعد الهجرة⁽²⁸⁾.

إن معاشية الأسرة للإرهاب تؤثر سلباً على الصحة النفسية للمهجرين قسرياً ومنها: عدم التوافق والالتزان الانفعالي، والخوف، والشعور بالإحباط والقلق وغير ذلك، إذ أن فقدان الأمن الذي يصيب الأفراد قد يتطور إلى أمراض عقلية تؤدي بأصحابها إلى الموت، وهو ما يسمى في علم النفس بقمة الأحداث المقلقة، وهو أقصى حد للقلق الذي من شأنه أن يذهب بعقل صاحبه، كأن تتعرض إلى إبادة جماعية من طرف القوات المتمردة، ويتعرض الناجون لازمات نفسية مختلفة، وقد يتطور إلى مشاكل نفسية عند مشاهدتهم لذبح أفراد أسرهم. كذلك تعاني بعض أفراد الأسر من حالات نفسية صعبة نتيجة هدم المنزل، والدمار والحرائق، ومشاهدة جثث الموتى ملقاة في كل مكان، إضافة لنفاذ الغذاء والماء وعدم الحصول على الدواء، كل هذه المشكلات تشكل مصدر من مصادر الضغط النفسي تؤثر على كل أفراد الأسرة، وذلك لما تحمله من ردود أفعال سلبية مؤلمة.

يترك النزوح واللجوء بسبب الصراعات العسكرية آثاراً مدمرة على شخصية أفراد العائلة وتتمثل هذه الآثار في الفرز الليلي والشعور بعدم الراحة والفوبيا المزمنة، والخوف من الظلام أو الأصوات العالية، أو الانتكاسة في بعض المهارات التي اكتسبت فيظهر التبول اللاإرادي، واضطرابات الأكل والنوم، وظهور بعض الاضطرابات السلوكية عند الأطفال خاصة وتتمثل في قضم الأظافر والتلعثم والقلق،⁽²⁹⁾.

الفروق في نمط الحياة: ربما يقدم المجتمع الجديد فروقاً في المعتقدات وطرق جديدة لأنماط الحياة والتفكير والعمل، إذا قورن بالمجتمع السابق، وقد يقع بعض الأفراد في الحيرة والاضطراب والقلق بسبب هذا الاختلاف وقد يصبح البعض عدوانياً، وهنا تبدأ الحاجة ماسة لتقديم المساعدات للفرد ليصبح أكثر تكيفاً للمجتمع الجديد،⁽³⁰⁾.

زيادة الإصابة بالاضطرابات النفسية: أشارت نتائج دراسة (Zienat Sanhori, et, al)، إلى زيادة عدد المصابين بالاضطرابات النفسية للنازحين وكان أعلاها الاكتئاب بنسبة 1.4%، القلق العام 2.8%، الخوف الاجتماعي 1.4 %، ضغوط 0.8 % (31).

نتيجة السؤال الثاني:

للإجابة على السؤال الثاني والذي ينص على « ما هي أهم الآثار النفسية التي يتعرض لها المهجرين قسراً عن ولاية الخرطوم بسبب الحرب؟. خلصت نتيجة المقابلة التي أجراها الباحث على أفراد العينة من النازحين عن ولاية الخرطوم الذين يقيمون بمحلية شندي على أنهم يعانون من آثار نفسية بدرجة مرتفعة وتشمل بالترتيب: القلق: بسبب استمرار العنف وسقوط الضحايا، وطول أمد الهجرة القسرية. الإحباط: نتيجة لظروف خارجة عن السيطرة: مثل العدوان والعنف وعدم الارتياح لفقدان كل شيء، والانزعاج من الضغط الناشئ بعد الصدمة، والحسرة وخيبة الأمل للوضع الراهن. المخاوف: وهي مظاهر الخوف الغير طبيعية التي تتنبأ بعض المهجرين خاصة النساء، من سماع الأصوات العالية كأصوات الطائرات، والتفجيرات المدوية ونحوها. الاكتئاب: الناتج من الهبوط المزاجي واليأس للمهجرين، والانسحاب من الواقع وعدم الاهتمام بالأنشطة القائمة، ونقص الهمة، إضافة للشعور بالدونية وتبخيس الذات لوضعه الراهن. صعوبة النوم والكوابيس الليلية بسبب سقوط الدانات عشوائياً، وصور الجثث على الطريق. ضعف خدمات الصحة النفسية.

يعزو الباحث السبب في وجود الآثار النفسية بدرجة مرتفعة قد يعود إلى معاناة المهجرين قسراً من الضغوط النفسية والاضطرابات الناتجة عن انتهاكات المليشيا المتمردة من القتل إلى الطرد من المنازل تمثلت في مصفوفة سلبية تظهر في سلوك المهجرين وتفاعله مع نفسه ومع المحيطين به، وتسبب له صراعات مع أقاربه وأصدقائه أو زملائه تؤدي أزمات في التوافق الشخصي ومن ثم تعتل صحته النفسية. المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية للتهجير القسري:

تمهيد:

يترك التهجير القسري آثاره المؤلمة على المجتمع قاطبة، وتعد الأسرة من أبرز المتضررين من التهجير القسري وما يصاحبه من قتل وخطف وتشريد واعتقال وسقوط ضحايا مما يساهم في التفكك الأسري والمجتمعي، وتغيرات قيمية وأخلاقية وثقافية لكثير من الأسر، فمنها من فقدت أحد أفرادها، وأخرى سافرت، وأخرى هُجرت جراء العمليات المسلحة، وترتب عليها تفكك النسيج الاجتماعي، وتكمن خطورة الآثار الاجتماعية على المهجرين قسرياً، أنهم فجأة وجدوا أنفسهم بلا مأوى، في مناطق لا يعرفون فيها أحداً من العالمين، وقد سلبت كل أشياءهم الخاصة بمقومات الحياة، ونتج عن هذا النزوح انفصال الأسر عن أهاليهم. إن الهجرة القسرية بسبب النزاعات المسلحة أينما تقع تترك آثاراً كبيرة مباشرة وغير مباشرة تختلف من مجتمع لآخر، تبعاً لطبيعة المجتمع ونظامه السياسي وما يحمله من قيم وعادات وتقاليد اجتماعية⁽³²⁾، ويؤكد علماء الاجتماع أن الهجرات ترتبط بكثير من المشكلات الاجتماعية والثقافية التي تنجم عن زيادة الأفراد المهجرين في كافة مجالات الاستثمار من ناحية، وعن حجم الخدمات الاجتماعية المتاحة خاصة مجالات الإسكان والإقامة⁽³³⁾. ومن أهم الآثار الاجتماعية السلبية التي تعرض لها المهجرين قسرياً:

التفكك الاجتماعي وضعف الروابط الاجتماعية: يحدث التفكك الاجتماعي عندما يحدث اضطراب نتيجة الهجرة أو الحروب أو الكوارث، وهذا بالطبع يؤدي إلى حالات من التصادم في القيم والمثل الاجتماعية، مما يؤدي إلى تمزيق النسيج الاجتماعي وضعف الروابط والعلاقات الاجتماعية.

الضغط على الخدمات: تعاني أغلب ولايات السودان من ضعف البنية التحتية في مجال الخدمات رغم عن المجهودات التي بذلت في هذه المرافق، وتشكل الهجرة القسرية عبئاً إضافياً فجائياً علي كل الخدمات بالولايات خاصة القطاع الصحي والماء والكهرباء. وتعتبر الهجرة القسرية الداخلية إحدى المتغيرات الديموغرافية المؤثرة في تباين حجم السكان وتوزيعهم وكثافتهم، وتؤدي الزيادة المضطردة من الأسر المهجرة قسرياً للمواقع الجديدة إلى مزاحمة السكان الأصليين على مواردهم وعملهم،

تزايد العشوائيات: أجبرت الهجرة القسرية معظم الأسر المهاجرة إلى السكن في الساحات الخالية، أو مباني تحت الإنشاء، أو المدارس مما أدى للإخلال بمعايير السكن الحضاري.

البطالة: أفرزت الهجرة القسرية ظاهرة البطالة بشكل كبير، حيث أجبرت العديد من العوائل إلى تركت عملها وحرفها.

انتشار ظاهرة التسول: نتيجة للتدهور الاقتصادي وتحديدًا عند العوائل التي فقدت معيها فاضطر بعضها إلى التسول أو العمل في أعمال هامشية لا تسد الرق،⁽³⁴⁾.

ضعف الانتماء: إن تغيير محل إقامة الفرد وكثرة الانتقالات يجعل حياة الإنسان مضطربة، يفقد خلالها الأصدقاء القدامى ليبدأ رحلة البحث عن أصدقاء جدد فيمن تتوفر فيهم الخصائص التي تناسبه، وكثيراً ما يجد الصعوبات في تكوين صداقات جديدة. ولذلك فإن كثيراً من هؤلاء الأفراد قد يعانون من مشكلة ضعف الانتماء للمجتمع الجديد والذي يتسبب في السلبية واللامبالاة وعدم تحمل المسؤولية.

الفروق الثقافية: تؤكد الدراسات الاجتماعية الثقافية في حالة انتقال فرد ما من نمط ثقافي معين إلى نمط ثقافي آخر، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار تأثير مختلف المواقف، واتباع سلوكيات معينة، مما حدا بعلماء النفس والاجتماع إلى الاهتمام بدراسة العلاقات الاجتماعية والثقافية وغالباً ما تكون مصحوبة بمخرجات نفسية معينة، لأن الانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع متطور يترك أثره على شخصية الفرد،⁽³⁵⁾.

العنف الأسري: وهو أحد أهم أنواع العنف وأخطرها ويزداد في أعقاب النزاعات المسلحة بسبب تصدع العلاقات الاجتماعية من خلال المناخ العام للعنف والاحباط النفسي والصدمة النفسية التي يعاني منها الناجون من النزاع وعدم وجود فرص عمل وسكن وفقدان الخدمات الأساسية والتغيرات في الأدوار والوظائف التقليدية المرتبطة بالنوع الاجتماعي في نطاق الأسرة وتعرض المرأة والطفل للانتهاكات وتأثيراته السلبية⁽³⁶⁾.

التفكك الأسري: ويقصد به «التصدع المادي للأسرة أو غياب أحد الوالدين مما يؤثر على وضع الأسرة من حيث تربية الأطفال وتوجيههم والمحافظة على كيانهم ضمن نطاق الأسرة المتماسكة»⁽³⁷⁾، يذكر ميرتون (Merton) أن التفكك الأسري يشير إلى حالة «الوهن الذي يصيب البناء الأسري أو سوء تكيف الأفراد وتوافقهم وانحلال الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كل مع الآخر نتيجة لانهايار الظروف والروابط الاجتماعية في البناء الاجتماعي الكلي»⁽³⁸⁾، ويعد التفكك الأسري من أخطر المشكلات التي تتعرض إليها حالياً، حيث الفشل في العلاقات الأسرية من جراء الاضطرابات التي تحدث بين الزوجين أو الأسرة بصفة عامة

لأسباب متعددة، وبما أن الأسرة هي أهم خلية في بناء المجتمع لهذا تكون للهجرة القسرية انعكاسات واضحة وخطيرة على وضع الأسرة مما يؤدي إلى تداخل في كيانها ووظائفها وأدوارها الاجتماعية، ومن أخطر المشكلات الاجتماعية التي تترتب على ظاهرة الهجرة هي: التفكك الأسري، السلوك الإنحرافي، المشكلات الديموغرافية وتداخل التركيب السكاني، ومشكلات الفقر والصحة والسكن،⁽³⁹⁾. ويشير (40)، إلى أن من أهم مظاهر التفكك الأسري على الأطفال والشباب ما يلي: اضطراب الصحة النفسية لدى الكثيرين، وظهور الأمراض النفسية والانحرافات خاصة بين الأطفال والأحداث والشباب والسلوك الإجرامي والتأثر بالثقافات الجديدة دون أخذ ما هو صالح وترك ما هو طالح.

نتيجة السؤال الثالث:

للإجابة على السؤال الثاني والذي ينص على « ما هي أهم الآثار الاجتماعية التي يتعرض لها المهجرين قسراً عن ولاية الخرطوم بسبب الحرب؟ » خلصت نتيجة المقابلة التي أجراها الباحث على أفراد العينة من النازحين من ولاية الخرطوم والذين يقيمون بمحلية شندي على أنهم يعانون من آثار اجتماعية بدرجة متوسطة وتشمل بالترتيب:

تفكك النسيج الاجتماعي: حيث تشتت العوائل والاقارب والجيران لمناطق متباينة ومتفرقة حسب المخرج الآمن من الولاية حينها، تفادياً للمخاطر على الطرق القومية.

التفكك الأسري: وذلك بفقدان أحد أو أكثر من أفراد الأسرة، أو من توزع أفراد أغلب الأسر ما بين نازح ولاجئ لمناطق متباعدة جغرافياً، فمنهم من تعجل ووجد مسكناً، ومنهم من تأخر ولم يجد إلا المدارس والمباني غير المكتملة، بعضهم في المدن والآخر في الأرياف.

عدم توافر الخدمات الاجتماعية الأساسية والمتمثلة في نوع السكن المناسب الذي يسع الأسر خاصة الممتدة وضعف خدمات الدواء والماء والكهرباء، والوقود.

طول مدى التهجير تسبب في أزمة خانقة تمثلت في توقف مصادر رزقهم، وعدم وجود فرص عمل بديلة لكسب العيش وفوق ذاك توقفت البنوك عن العمل نتيجة الدمار الذي لحق بها، قادتهم الحاجة إلى احترام الأعمال الهامشية وعمالة الأطفال والتسول لدى بعضهم.

تصدع العلاقات الاجتماعية للجماعات كجماعة الأقران والأصدقاء والجيران، وعدم قدرتهم على التوافق والتكيف المطلوب مما أدى إلى ضعف الانتماء للمجتمع الجديد الذي يتسم بعادات وتقاليد محافظة ومجمع عليها، التي تختلف مع مما لدى المهاجرين.

ضعف المساندة الاجتماعية: من قبل إدارات الشؤون الاجتماعية والمحليات من مواد الإغاثة بالحجم والزمن المطلوب التي تفي بالحجم المتعاظم لتدفق النازحين، وعدم وضع قوانين صارمة ضد استغلال حاجة المهجرين على مستوى ارتفاع كلفة إيجار المنازل والشقق، وارتفاع أسعار المواد الغذائية والتموينية والغاز التجاري.

يعزو الباحث السبب في حصول الآثار الاجتماعية في المرتبة الثانية وبدرجة متوسطة إلى أن معظم الأسر المهجرة قسراً من ولاية الخرطوم ربما تعود في أصلها إلى الولايات، وهنا تكون التهجير بمثابة عودة إلى الجذور التي نشأت فيها، وغالباً ما يعود مكون سكان ولاية الخرطوم لهجرات داخلية تفاوتت عبر الزمن من

الولايات المختلفة بسبب تنوع وتوافر فرص العمل وضرورات الحياة من تعليم وصحة وخدمات عامة. وبالتالي فإن عودتهم قسراً لموطنهم القديم قللت من أثر ظهور حجم المعاناة الاجتماعية بالدرجة المرتفعة، نظراً لأن عودتهم إن لم تكن لمنازلهم، فهي لمنازل الأسرة الممتدة، وتبعها أن تضاءلت في نظرهم بقية الآثار الاجتماعية لمن هاجروا قسراً إلى مواطنهم الأصلية، غير أن حجم الآثار الاجتماعية كانت ماثلة لدى المهجرين من غير ذوي العلاقة بالمجتمع الجديد وغالباً الذين يقيمون بالمدن وقليل في الريف، وهم الذين يعانون من هذه الآثار بدرجة مرتفعة.

الخاتمة:

من خلال الدراسة اتضح لنا ممارسة التهجير القسري لسكان ولاية الخرطوم حيث هجر المدنيون مساكنهم وتركوا ممتلكاتهم حفاظاً على أرواحهم، بين نازح يبحث عن مسكن يأوي إليه في أقرب الولايات، أو طالب لجوء يبحث عن تأشيرة دخول لدول الجوار، وما بين هذا وذاك مآسي وذكريات أليمة وحزن وحسرة وضياح ونهايتها تشريد لم يخطر على بال أي سوداني، نعم هو الغلة التي خرج بها المهجر عن وطنه، تمثلت ومظهرت في آثار نفسية كالقلق، والشعور بالإحباط، المخاوف، الاكتئاب، صعوبة النوم، ضعف توفر الرعاية الصحية، وآثار اجتماعية تتمثل في تفكك النسيج الاجتماعي، التفكك الأسري، ضعف الخدمات الاجتماعية، عدم وجود فرص للعمل، تصدع العلاقات الاجتماعية، ضعف المساندة الاجتماعية.

أهم النتائج:

في هذه الحرب ظهرت العديد من الفئات مثل: القتل، الخطف، التعذيب حتى الموت، النهب، الحرق، تدمير وسرقة الممتلكات، الاغتصاب، كل أشكال العنف الجنسي، وتدمير دور العبادة والمؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص مما دفعت بالتهجير القسري لأكثر من 5.1 مليون من سكان ولاية الخرطوم 4.1 مليون نازحين في الولايات الأخرى، وأكثر من مليون حالة لاجئين في دول الجوار. تسبب التهجير القسري في معاناة المهجرين قسراً من ولاية الخرطوم بسبب الحرب في تعرضهم لآثار نفسية متعددة تمثلت في: القلق، الإحباط، المخاوف، الاكتئاب، صعوبة النوم، عدم توفر الخدمات الصحية. تسبب التهجير القسري في معاناة المهجرين قسراً من ولاية الخرطوم بسبب الحرب من آثار اجتماعية تمثلت في: التفكك الاجتماعي، التفكك الأسري، عدم توفر الخدمات الاجتماعية، عدم توافر فرص بديلة للعمل، تصدع العلاقات الاجتماعية، ضعف المساندة الاجتماعية.

التوصيات:

من خلال ما توصلت له الدراسة من نتائج يوصي الباحث بالآتي:
قيام وزارة الصحة بالولاية بحصر وتحديد حجم المعاناة للأسر المهاجرة لتذليل العقبات التي تحول دون الحصول على الرعاية الصحية النفسية والجسدية (مرضى الغسيل الكلوي، القلب، إخلاء جرحى العمليات) وحلها.
قيام المحليات بدعم المهاجرين قسراً بالمواد التموينية بصورة راتبية، وإتاحة فرص العمل وتيسير الخدمات لهم. وتقديم الدعم الاجتماعي وذلك لحل مشاكل الإيواء العالقة، والحد من ظاهرة ارتفاع إيجار المنازل والشقق.

قيام إدارة المستشفيات بتوسيع دائرة الخدمات الطبية وذلك بالاستفادة من الأطباء والكوادر الطبية القادمة من الخرطوم لتخفيف الضغط على المستشفيات.
قيام لجان أمن المحليات بضبط الأمن في أرجاء المحلية .
المقترحات:

إجراء دراسات لمجتمعات سودانية أخرى تعرضت للتهجير القسري، مثلاً ولاية غرب دارفور للوقوف معاناة المواطنين ومحاولة تقديم الخدمات العاجلة.
إجراء دراسات دراسات مقارنة بين الدول التي سجلت فيها الهجرة القسرية مؤخراً للوقوف على نوع الاستهداف، وحجم الدمار، ودور المنظمات الأممية في دعم واسناد المتضررين وملاحقة المعتدين بالقانون الدولي.

الهوامش:

- (1) عبد، سعد الدين صالح (2022): الآليات القانونية لحماية المدنيين من التهجير القسري، مجلة كلية دجلة الجامعية، الجامعة التقنية الوسطى، المجلد 5، العدد 2، ص 28-38.
- (2) www.info@gndr.org
- (3) البزاز، سناء محمد جعفر (2005): الآثار النفسية والاجتماعية للحرب العراقية الأمريكية على الأطفال بالمجتمع العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد.
- (4) Munn, N, L. (1981): The psychology of social problems, London University press, p 23.
- (5) أبو جيب، سدي (1998): القاموس الفقهي، ط2، الجزء 1، دار الفكر، ص 365.
- (6) الشخيلي، عبد القادر عبد الجبار (بدون): الوجيز، ص 152.
- (7) الريحاني، عبد علي الخفاف عبد مخور (1986): جغرافية السكان، مطبعة جامعة البصرة، ص 228.
- (8) البخشونجي، حمدي عبد الحارث (2005): السكان من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ص 37.
- (9) السيد، طارق (2008): علم اجتماع السكان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص 163.
- (10) بسيوني، محمد شريف (2001): المحكمة الجنائية الدولية (نشأتها نظامها الأساسي)، مطابع روز اليوسف الجديد، هامش 214.
- (11) عمر، سعدالله (2007): معجم القاموس الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 6.
- (12) سولينيه، فرانسوا بوشيه (2006): القاموس العلمي للقانون الدولي الإنساني، ترجمة أحمد مسعود، دار الملايين، بيروت، ص 198.
- (13) نصار، وليم نجيب (2008): مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، ص 364.
- (14) عبد اللطيف، نادية (2009): الحماية الجنائية للملايين من التهجير القسري (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير مقدمة لكلية القى انون، جامعة تكريت، ص 67.
- (15) يوسف، محمد صافي (2004): الحماية الدولية للمهجرين قسرياً داخل دولهم، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 15.
- (16) عزيز، صباح حسن (2015): جريمة التهجير القسري دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهريين، ص 62.
- (17) عزيز، صباح حسن (2015): جريمة التهجير القسري دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهريين، ص 66.
- (18) www.alarabay.co.uk
- (19) www.amnesty.org
- (20) www.amnesty.org

- (21) www.ohchr.org
- (22) www.alarabay.co.uk
- (23) أبو القاسم، زممل (2023): الصمت والنطق الخجول، صحيفة اليوم التالي، أغسطس 2023م.
- (24) www.alahdath.news
- (25) www.who.int
- (26) www.bbc.com
- (27) السقال، فراس (2018): التهجير القسري في سورية وأثره على أهل السنة فيها.
- (28) www.who.int
- (29) البعاج، هديل تومان محمد و كاظم، حيدر جواد (2017): الأبعاد الاجتماعية والنفسية للتهجير القسري على الأطفال في العراق، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السادس والعشرون، ص 1 - 12.
- (30) فهمي، مصطفى (1976): الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- (31) zobasanhori@hotmail.com
- (32) حميد، بشير فاضل (2015): مظاهر العنف في المجتمع العراقي الحديث، الجامعة المستنصرية، ص 15.
- (33) محبوب، محمد عبده (1977): الهجرة والتغيير في المجتمع الكويتي، وكالة المطبوعات بالكويت، ص 280.
- (34) البعاج، هديل تومان محمد و كاظم، حيدر جواد (2017): الأبعاد الاجتماعية والنفسية للتهجير القسري على الأطفال في العراق، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السادس والعشرون، ص 1 - 12.
- (35) ناصر، إبراهيم وجعيني، نعيم (1998): تكيف الطلبة الوافدين إلى الجامعات الأردنية مع ثقافة المجتمع الأردني في النواحي الاجتماعية والثقافية والخصية (دراسة في الجامعة الأردنية)، مجلة دراسات، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، ص 174.
- (36) الجرباوي، علي و خليل، عصام (2008): النزاعات المسلحة وأمان المرأة، ط1، مؤسسة الناشر للطباعة والنشر، ص 14 - 20.
- (37) المصري، أسماء خليل وآخرون (2010): التفكك الأسري وتأثيره على الثقة بالنفس لطلاب الجامعات، كلية الإدارة والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ص 14.
- (38) الربابعة، أحمد (1986): دراسات في نظرية ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، ط1، دار الثقافة والفنون، عمان، ص 104.
- (39) الربابعة، أحمد (1986): دراسات في نظرية ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، ط1، دار الثقافة والفنون، عمان، ص 104.
- (40) إبراهيم، محمد عبد العليم (2003): التفكك الأسري - الأسباب - الآثار - العلاج، مجلة التربية القطرية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد السابع والأربعون ومائة، السنة الثانية والثلاثون، ديسمبر 2003م.